"اننا محكومون بالأمل وما يحدث اليوم لا يمكن أن يكون نهاية التاريخ" -سعد الله ونوس

خريطة طريق تجربتى المسرحية

فى

إطار مشروعنا البيداغوجى النموذجى

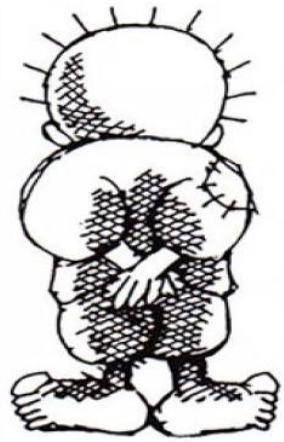

يعتبر المسرح من أعظم الفنون وأقدمها لما يقدر عليه من التعبير عن حالة نفسية أو موجة فكرية أو مرحلة إجتماعية أو حتى حقبة تاريخية. فأصل المسرح هو تلك المرآة العاكسة للواقع. للتأكيد على هذه القيمة النابعة داخل فن المسرح، شاهدنا نحن، قسم السنة الثانيOIB، تجربة بيداغوجية نموذجية تدور حول هذا الفن تراوحت بين النظري والتطبيقي. هي تجربة يمكننا التعبير عنها بصفة جماعية كفريق مدرسي أو بصفة فردية تتمثل في تجربتي الشخصية وتأثير هذا المشروع على رؤيتي لهذا النمط الفني.

I- تطور المسرح العربي:

المسرح هو فن قديم جدا إلا أن وصوله إلى العرب وبداية تغلغله بينهم وتأثيره فيهم هو أمر حديث؛ ففي بداية القرن العشرين, رأى الرحالة العربي عبد الرحمان الجبريتي في المسرح الفرنسي مجرد تسلية و لعب و(*«عبارة عن محل يجتمعون فيه [...] و يتفرجون على ملاعيب»*) *وصف المسرح الفرنسي في عصر عبد الرحمان الجبريتي* ، ثم إن عرب الأندلس عرفوا المسرح لفترة إلا أن الأرجح أن المسلمين ما عرفوا المسرح على أصوله (بداعي غلظ حجاب النساء عندهم [...] والتمثيل لا يتم بدون مثول النساء فيه) *التمثيل في الإسلام* و بتعارض عادات الإسلام مع قواعد المسرح تحول المسرح إلى خاصية من خصائص الجنس الأري *التمثيل في الإسلام* والمجتمع الأوروبي لشدة تمسك العرب بتقاليدهم وعاداتهم.

ثم إن المسرح ظهر مرة أخرى بين العرب إلا أنه أعتبر مجرد ملهاة أو تسلية أين كان (الممثل في نظرنا بهلوان والممثلة عاهرة والتياتر كمقصف[...] والتمثيل كنوع من القصف واللهو) *من أجل مسرح وطني* ولعل ذلك بسبب أن المشاهد العربي (لم ير بعد روايات تمثل مشاهد من حياة يعرفها)*من أجل مسرح وطني* فجلّ الأعمال المتواجدة هي عبارة عن تعريب لمسرحيات أو كتابات غربية فاشلة غريبة عنه بعيده عن أذواقه قصية عن مداركه، كما ان اللغه المعتمده في اغلب الاحيان هي الفصحى التي يراها العامه لغه مقتضبه متعاليه بعيده عنهم؛ ولكن بتدخل المغرومين بالمسرح من المثقفين عرف العرب نوعا جديدا من المسرح المناسب للعادات الشرقيه المقتبس عن المسرحيات الاوروبيه الراقيه، فنذكر منهم مارون النقاش اللذي ساح في أنحاء أوروبا ورجع مغرى بفن التمثيل فعرب عدة روايات و سعى بتشخيصها *لويس شيخو* مرسخا فيها الأساطير العربية المستلهمة من التاريخ -إضافة إلى إحتكاك العرب بالغرب وقبولهم الإنفتاح على الأخر- فكان تحوير النصوص الغربية إلى المراجع العربية سببا في جعلها أكثر واقعية و تقبل الجمهور العربي لها.

فكان بذلك للكاتب المسرحي الدور الأكبر في تقبل الجمهور العربي لهذا الفن وذلك بتجاوزه للمصادر التافهة و ثقته في النضج الفكري للمشاهد العربي وبالتالي تقديم أعمال مسرحية خاضعة إلى إحساسهم الخاص بجمهورهم و ظروف هذا الجمهور و كذلك نوعيته، *البداية الصحية للمسرح العربي* ، أعمال ترتقي بالمشاهد وتتقرب إليه فنستنتج أن أهمية المسرحية تكمن في تعبيرها عن بيئة متقبلها . *البداية الصحية للمسرح العربي .*

إضافة إلى أن ذكاء الكاتب في تجاوز عقبة لغة الحوار والتأليف بين الفصحى والعامية لخلق لغة ثالثة وفية لجدية المسرح وقريبة من المشاهد في نفس الوقت زاد من حسن تقبل الجمهور العربي للمسرح الحديث ما يرسخ من قيمة هذا الفن ويحوله إلى رسالة لها متقبل.

هذا التطور الذي عرفه المسرح العربي يعطينا الأمل في أن يعرف هذا الفن قيمته و قداسته التي عرفها منذ القدم بين الجماهير الأوروبية و أن تتغير نظرة العرب إلى الممثل و إلى الركح نحو التقدير والإحترام و أن تصبح المسرحيات بالنسبة للمتفرج جزأ من حياته اليومية *من أجل مسرح وطني.*

II- **المشروع البيداغوجي النموذجي (APP) :**

منذ بداية هذه السنة, تم إعلامنا باضطلاعنا في مشروع بيداغوجي نموذجي مسرحي، APP، بعنوان " **اننا محكومون بالأمل**" العبارة الشهيرة للكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس والتي سعينا من خلالها إلى الجمع بيننا وبين بقية العالم العربي. وكان هدفنا الأسمى في هذا المشروع هو إنشاء مسرحية وأدائها في نهاية العام في العديد من صالات المسرح بالعاصمة. من أجل التحضير لهذا التحدي الكبير، مررنا بمراحل كثيرة قبل الوصول إلى يوم أدائنا.

1- نزهات مسرحية:

من أجل إيقاظ حسّنا الفني والمسرحي، شهدنا العديد من العروض المسرحية المختلفة الأغراض، من المأساة إلى الكوميديا إلى الدراما، أعمال مثيرة للاهتمام أحيانًا وأحيانًا أخرى أقل إثارة، سمحت لنا بتطوير حسّنا النقدي ومعرفة تحديات المسرح بشكل أفضل. هذه الخطوة أثبتت أن لا غنى لنا عنها لتحفيز ثقافتنا الدراماتيكية.

لقد حضرنا أداء ***المجنون*** لتوفيق الجبالي، وهو تكييف لنص جبران خليل جبران وهي قصة رجل مجنون تسكنه عدة أصوات داخلية تحميه من العالم الخارجي. هذا العمل باللغة العربية الأدبية أثار إعجابنا بشكل كبير. لم يكن النص الذي يصعب فهمه في بعض الأحيان عائقاً أمام فهمنا للموضوع لأن أداء الممثلين بالإضافة إلى السينوغرافيا قد يسر الفهم كثيرًا كما إن المأثرات الصوتية والضوئية وكذلك إسقاطات لوحات جبران خليل جبران رسخت البعد الفني العربي مما جعل القطعة أكثر ديناميكية وإثارة للاهتمام.

خوف ، مسرحية لفاضل الجعايبي التي تتعامل مع هروب 9 ناجين من عاصفة ليجدوا ملاذاً في مستشفى خرباء. في هذه الحالة المحزنة ، يختفي بعض من رفاقهم ، تاركينهم خائفين وقلقين يحاولون أن يفرضوا على أنفسهم المقاومة والبقاء. مأساة تتحدى القدر والعدم لتذكرنا بآمال شعبنا بعد ثورة 2011; إنها قوة الصوت ، ومرونة الأجسام ، والديكورات المظلمة ، والجو القمعي والشخصيات عميقة الغضب، كلها مثلت العوامل التي شدتني إلى هذا العمل وأدهشتني أمام هذه الفوضى من المشاعر.

عمر وجولييت ، قطعة كتبها الطاهر عيسى العربي ، هي تكيف تونسي لمسرحية شكسبير الشهيرة ، روميو وجولييت. مسرحية تتعامل مع موضوع حالي (عداء بين اليهود والمسلمين والإرهاب المتطرف) وموضوع أقدم بكثير (الحب)؛ هي مسرحية تحكي قصة عمر شاب تونسي على وشك تفجير منزل يهودي ثري. ومن ثم يجتمع بجولييت ،إبنة هذا الرجل ، و يقع في الحب بجنون. هذا التكيف جيد الرسوخ في الإشكالية الحالية يمزج بين الحب والكراهية والدين والعاطفة. هذا المزج الخفي جعل هذا العمل المفضل لدي. علاوة على ذلك ،تمكنت هذه المسرحيت من إكتساح وافتكاك إعجاب جميع جمهورها ، هذا النجاح يرجع إلى موهبة اللاعبين (من الواضح) ، ولكن الموضوع الجذاب قبل كل شيء كان إختيار اللهجة التونسية .

المغروم يجدد لحبيب بالهادي ، هي القطعة الأقرب إلى الجانب التاريخي منها إلى التسلية. تجري المسرحية في "كافيشانتا"، التي تحظى بشعبية كبيرة في تونس في الستينيات ، و تدور احداثها حول فرقة موسيقية وراقصة في هذه المقاهي ، هذه المجموعة الصغيرة من الناس تمثل المجتمع التونسي بعد الاستقلال. الآراء السياسية والموسيقى والأمل تتخلل المسرحية. على الرغم من ثرائها الثقافي ، لم يعرف هذا العمل نجاحًا كبيرًا بالنسبة لنا لأن الموضوع نقلنا بعيدًا عن فهمه. لكن يمكن أن يكن تقبل جمهور عرف هذه الفترة التاريخية الهامة لبلدنا أفضل.

دار برناردا ألبا ، لجان لوك غارسيا وسهام كوتيني ، هو إعادة تأهيل لدراما *لوركا* . تجري المسرحية في إسبانيا في الثلاثينيات ، برناردا ألبا ، هي أم متمسكة بالتقاليد الأندلسية، بوفات زوجها تبدأ حدادًا شديدًا لمدة 8 سنوات تفرضه على بناتها. لكن البقاء في المنزل لمدة 8 سنوات طويلة لا تستصيغه بعض بناتها اللاتي يعشقن ويحبن ويرفضن ويحاولن كسر القوانين التي تفرضها أم مرعبة. إجبار بناتها على فعل ذلك ينتهي بها إلى خسارة واحدة واضطرارها إلى إضافة 8 سنوات أخرى إلى الحداد. هذه القطعة باللغة الفرنسية كانت مختلفة تمامًا عن تلك التي رأيناها من قبل ، والموضوع حتى لو كان بعيدًا عن حياتنا اليومية، جعلنا نشعر بجميع العواطف المحتملة. قوة الكلمات والنصوص تماشت مع حدة التأثير على عاطفة المشاهد.
ثم في الختام، **سرقنا القمر** لجان لوك غارسيا، هو تكييف لعمل جان بول أليغر. هذه القطعة المجنونة والمضحكة خارجة عن المألوف. هي قصة رجل سرق البحر ترك كل سكان هذا الكوكب بدون ملح. حوار ونص هزلي جدا بالنسبة للمتفرج جدي جدا بالنسبة للشخصيات التي تعتلي الركح في ازيائها الملونة؛ حوار باللغة الفرنسية يشدنا وكل الجمهور الحاضر و مسرحية تأسر انتباهنا إلى درجة تخيلنا لأنفسنا وسط هذا العالم المتخيل.

2- ترويض الركح:

قبل البدء بنصوص مسرحيتنا، بدأنا بتجسيد بعض المقتطفات الصغيرة من أعمال علي دوعاجي *(سهرت منه الليلي)* أو بشير خريف *(برق الليل)* ونصاً باللغة التونسية اقترحه علينا خليل المقدم. من أجل فهم ما يتطلبه المسرح في التمثيل، بدأنا من خلال التعلم والتدرب على نصوص بلهجة عامية بسيطة غالبية كلماتها متجذرة بعمق في النوع الكوميدي و من خلال استخدام حوارات مضحكة قصيرة مأخوذة من مواقف حياتية يومية مثل على سبيل المثال في القطار عندما لا يتوقف طفل جارتنا عن البكاء والصراخ، أو حالات النميمة ("التقطيع و الترييش")، كما عملنا على العادات والتقاليد التونسية فتضمناها في مشاهد أو حاولنا أن تجعل زملائنا يكتشفون تعابير مختلفة من خلال لغة الجسد فصة. في البداية، عملنا على النصوص ، وانتقلنا من مقتطفات من الروايات إلى الحوارات والإشارات الركحية التي يمكننا ادائها. تم تنفيذ هذا الجزء الأول من العمل في الفصل وبعد الانتهاء منه ، ذهبنا كل يوم جمعة في قاعة المسرح لأداء وتهذيب هذه النصوص. أعتقد أن هذه الخطوة في ترويض المسرح كانت أساسية بالنسبة لنا كي نقترب بأكبر قدر ممكن مما يتطلبه المسرح من شباب مثلنا بعيدين عن عالم الركح.

3- قراءة واختيار النصوص :

بعد ترويض الركح، بدأنا في القسم بقراءة نصوص مسرحية لعز ألدين المدني و سعد الله ونوس وهما الكاتبين الذين إرتكز على كتاباتهما نصنا المسرحي. بعد ذلك وخلال إحدى جلسات المسرح، قدم لنا مدرسنا نصوصًا للتعلم والمشاركة في مجموعات صغيرة. ونذكر بعض الامثلة :
نص عدد ١: الملك هو الملك لسعد الله ونوس و فيه الملك يريد ترفيه نفسه برعيته .
نص عدد ٢: ثورة صاحب الحمار لعز الدين المدني يتحدث فيه عن قائد جيش عزل لأنه قاد الشعب الى الهزيمة. ثورة الرعاة على القائد.
نص عدد ٣: عندما يلعب الرجال لسعد الله ونوس الذي يتحدث فيه عن الرعية التي تطمح إلى ما أحسن (تحسين العالم).
نص عدد ٤: رحلة الحلاج لعز الدين المدني الذي يتعامل مع الثورة التي تكون ضد السلطة و خاصة السلطان.
نص عدد ٥: الملك هو المالك لسعد الله ونوس، مقطع تأطير الحكاية وبداية التشخيص واللعبة .
نص عدد ٦: سهرة ما ابي خليل القباني لسعد الله ونوس وفيه يتهرب والي من مسؤلية إتجاه الشعب.

النصوص المقترحة، يسودها موضوع الصراع بين السلطة والرعية. وحسب ما جاء في هذه النصوص، اطارها الزمني يقع في العصور الوسطى.و شيء فشيء، نلاحض أن نصوص سعد الله ونوس تعتمد إلى التاريخ (الماضي) ليتحدث عن الحاضر وهذا ما نسميه إستقطابات تاريخية قد تحي بالحاضر. عز الدين المدني أيضاً يعتمد القراءة العربية لتأطير مسرحياته مثل مراد الثاني.

4- التمرن :

بمجرد تبادل نصوصنا وتعيين شخصياتنا، بدأنا في تمثيل مشاهدنا المختلفة. على الرغم من أنها مشاهد مقتبسة عن أجزاء مختلفة من الكتابات و أحيانا عن مؤلفين مختلفين، إلا أننا وجدنا جُملًا أو نسخًا متماثلة أو إيماءات لوضع روابط بين كل قطعة. ومن ثم فإن عمل المتدخلين مثل الطاهر (أو "tonton")، نسرين وحبيب، أمر قيم لا غنى عنه فقد رافقونا طوال مغامرتنا المسرحية على الرغم من التعب ، والعديد من المشاريع والجداول الزمنية المختلفة في بعض الأحيان، مشروعنا لن يكون موجودا بدونهم. أعطونا نصائحهم المهنية حول الصوت والإيماءات وتوجيه و التمثيل والأداء ، لقد مارسنا الكثير من التمرينات الشخصية والتنفس والوضعية. في كل جلسة، كان لدينا سكرتيرة الدورة التي نقلت كل التغييرات في النص واللعبة التي اقترحها المتحدثون ومعلمنا. كنا محظوظين لتمكننا من إمضاء أسبوع في جنوب تونس خلال مسرح الرحلة التعليمية. أسبوع مكثف في العمل والممارسة مع طاهر وحبيب وعماد معلم الرقص التقليدي لدينا. لأن نعم كان لدينا ورشة للرقص مع الراقصة العظيمة خيرة عبيد الله، خلال رحلتنا، كان لدينا جدول عمل مزدحم للغاية يعمل كل ليلة حتى وقت متأخر من الليل ، وأحيانا حتى أثناء النهار. كانت هذه الرحلة أيضًا مصدرًا للعواطف. لم يكن العمل مع عدة مشاركين ومتدخلين سهلاً على الدوام، حيث تختلف الأفكار والآراء، وتغير الكثير من التفاصيل بين الجلسات. ولذلك كان من الضروري التركيز، والاهتمام قبل كل شيء من أجل الحفاظ على جميع النصائح التي نقدمت لنا. مع مرور الأيام، أصبح مشروعنا أكثر وضوحًا وأصبح النسق أكثر تحملاً.

5- التمثيل:

بمجرد أن أتممنا حفض أدوارنا، جهزنا تقنية الإنتقال بين المشاهد و حددنا الأدوار الداخلية، لم يتبقى سوى تزويق الديكور، والأزياء، والملصق والترجمات باللغة الفرنسية من أجل أن نكون مستعدين تماما لأدائنا النهائي. بالتالي، بدأنا بالحظور و الأداء بأزياء المسرحية؛ رداء الأحلام للملكة، معطف المخمل الأحمر لجلالته، العمائم للوزراء والعديد من الأزياء الأخرى للشعب. أعطى هذا الإجراء البسيط صورة مختلفة تمامًا عن مشروعنا و جعله أكثر جدية وإتقان؛ ثم المرحلة الأساسية للديكور، حيث استغللنا صباح الأربعاء لطلاء الصندوق والعرش وتغطية الألواح.

أعطت الأزياء فوراً مظهر مذهل للمسرحية، ولكن الديكور كان حتى أكثر إذهالاً. في نهاية هاتين المرحلتين أصبحنا مدركين للغرض من المشروع وحقيقة أنه قرب على الإنتهاء و لإضفاء الطابع الرسمي على هذا الشعور، قررنا أن نبدأ في إنجاز ملصق المسرحية لذا تطوع اثنان من الطلاب لإنجاز أجمل الملصقات. وبمجرد الانتهاء من ذلك، ولصقه في جميع نوافذ المدرسة، وجب أن نتولى الترجمة باللغة الفرنسية.ولكن قبل كل ذلك، علمنا أن طاهر قد سجلنا في مسابقة في *منطقة كارمن* يوم الأحد 13 ماي 2018, لذلك كثفنا التداريب عند وصولنا إلى المسابقة شهدنا واحدة أجمل لحظات تطوير مشروعنا فقد أخذنا علاماتنا، وزوقنا أنفسنا من أجل تقديم أفضل ما في أنفسنا. لقد كان يومًا رائعًا وممتازًا، حيث حصلنا على جائزتين، أفضل ممثل متميز لملكنا وأفضل أداء مسرحي. على الرغم من الفخر الذي شعرنا به في ذلك الحين، فإن ما يجعلنا أكثر فخورين هو تطور مجموعتنا الواضح على طوال العام..

III - تجربتي الشخصية و تأثير المسرحية على شخصيتي:

علمتنا هذه التجربة المسرحية الكثير، والتقينا بأشخاص جميلين. من بينهم، قابلت تيسير، رجل عجوز مباشرة من خيال سعد الله ونوس. مضيء مصابيح الشارع، حكيماً ومتعلماً وتقي ، رافقني هذا الرجل طوال مشروعنا. تعلمت أن أعرفه بشكل أفضل، وأن أستمع إلى كلماته، وأن انسخ أفعاله، وأسلوبه الذي يميزه. تعلمت أن أضع نفسي في هيئته الجسدية، في البداية كان ذلك على سبيل الهزل إلا أنني اكتشفت خلال الحصص الأخرى انني أفتقده. قد يبدو وكأنه شخصية ثانوية ليست مهمة جدا، لكنه يمثل الكثير بالنسبة لي لأن هذا المشروع ورؤيتي لهذا المشروع لن يكون هو نفسه بدونه. شكراً له لقد تغلبت على ضغوط وألم شديد، وربما ترجع إلى خوفي من نظرة وأحكام الآخرين. أعطاني النضج والحكمة. ما أقوله قد يبدو سخيفًا، لكن الحقيقة. عندما نتقمص شخصية ما حقًا، نتغير لمشاركة المواقف معه. يصبحنا ونصبحه. هذه الرؤية ليست هي نفسها بالنسبة للجميع، والبعض يعتقد أنها شخصية خيالية، ولكن إذا كنا نتمنى حقا، يمكن أن تصبح حقيقة واقعة أشبه بنا. لذلك فإنني أدعو تجربتي المسرحية إلى شفافية الثقة بالنفس ، وهو درس نادر وقيمة مضافة. كانت جميع مراحل هذا التعلم مفيدة لتطورنا الشخصي. مفيدة لتطورنا كمجموعة أيضًا ،حيث لاحظنا تطورًا واضحًا لعلاقاتنا داخل الصف. ففي وقت سابق من هذا العام كنا منغلقين ومتباعدين ولكن بفضل كل ما عشنا داخل هذه التجربة من الضحك، والدموع و لحظات سخافة و أخرى أكثر جدية، أصبحنا عائلة متحدة، عائلة ال OIB.

الخلاصة:

استغرق مشروعنا المسرحي الكثير من الوقت والتركيز والعمل ولكن قبل كل شيء العزيمة. عزيمة لم نعرفها كلنا في نفس الوقت، ولكن اليوم نحن فخورون أن نقول إننا " اننا محكومون بالأمل".

هذه السنة الثانية كانت مليئة بالعواطف، ولكن أجمل المشاعر التي عرفناها هذا العام هي احسسنا بالفخر، فخر مجموعة أو بالأحرى عائلة قبالة جمهور يصفق.

أود إنهاء هذه الوثيقة بخالص الشكر. لحبيب من أجل تفانيه في مساعدتنا و عماد و خيرة المشرفون على ورشة الرقص التقليدي التي ستبقى محفورة في ذاكرتنا. شكراً جزيلاً لـنسرين، التي كرست وقتها الثمين لتطوير مشروعنا و التي شملتنا بلطفها ونصائحها العديدة. ثم بالطبع، شكراً جزيلاً لطاهر أو "tonton"، شخص نادر سيبقى إلى الأبد مكانه في قلوبنا. وأخيرًا أشكر Chacha اللتي تقبلت الشكاوى والأخطاء اللغوية و شخصيتنا المزاجية ! أشكركم جميعًا لأنكم آمنتم بنا، بكوننا قادرين على تحقيق مشروع رائع يشبهنا. وأخيرا، شكرا لأصدقائي أو بالأحرى عائلتي التي أحبها.

صورة بألف كلمة...

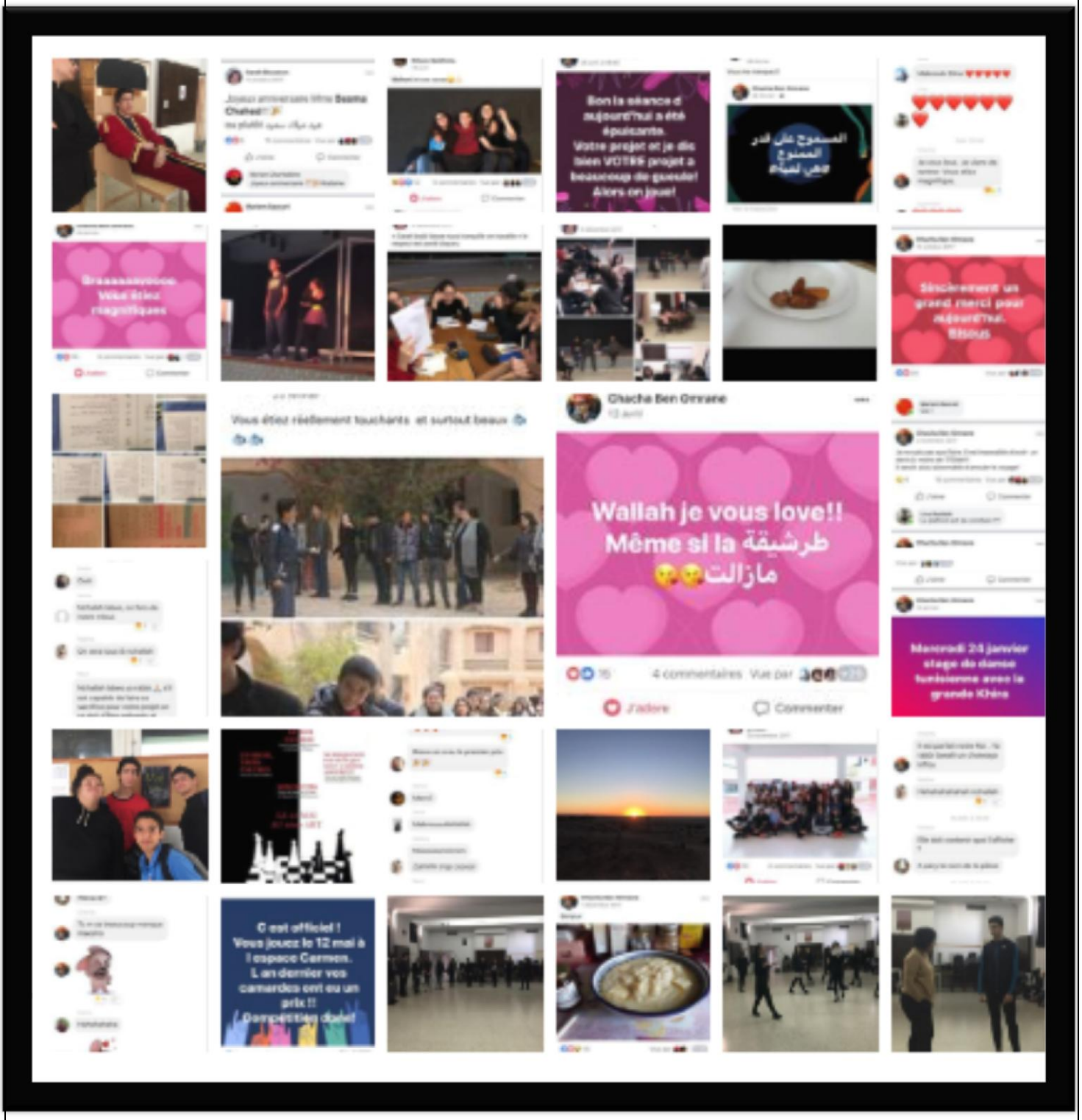

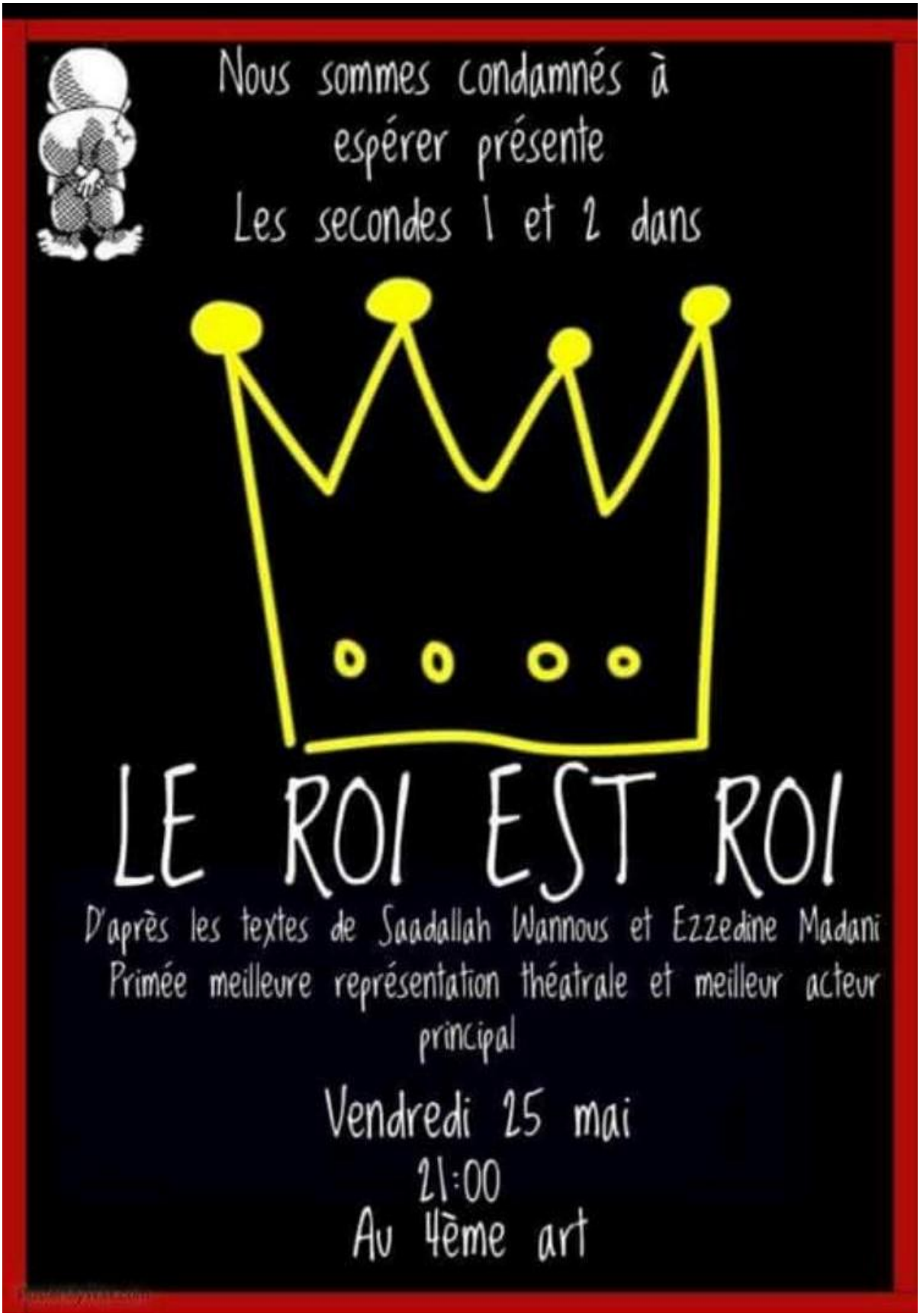
Nous sommes condamnés à
espérer présente
Les secondes 1 et 2 dans
LE ROI EST ROI
D'après les textes de Saadallah Wannous et Ezzedine Madani
Primée meilleure représentation théatrale et meilleur acteur principal
Vendredi 25 mai
21:00
Au 4ème art